المعاهد الصحيَّة

أو مستشفيات السلّ في اوروبا

لجناب الاديب ميشال يوسف بيطار استاذ العربية في مكتب اللغات الحيَّة في باريس

تتمة لمقالة الدكتور الاديب توفيق سلهب

يغني المزاجُ عن العلاج هواؤُهُ   باللطفِ عند هبوبهِ وركودهِ

« لعلَّ صفي الدين الحلّي لم يدرِ اذ وصف منفعة الهواء بالمجازات الشعرية انه بالحقيقة يغني عن العلاج وانه انجع علاج خصوصاً لاتقاء السلّ والاستشفاء منه . ومَن طاف اليوم سائحاً في بلاد سويسرة والنمسة وغيرهما من بلاد اوروبا يرى صروحاً مشيَّدة في تلك الاجبال يأوي اليها بعض المدنفين بالسلّ يستنشقون هواءها النقي منتظرين من فضل نسيمها ان ينفخ فيهم نسمة التعافي والحياة »

هذا ما قاله بالحرف الدكتور المرحوم حبيب درعوني في مقالةٍ له عنوانها « داء السلّ وانتشاره في سورية » (المشرق ١ : ١٥١)

ولكن حضرة الدكتور لم يتكرَّم على القراء بوصف هذه الصروح ليوقفنا على كيفيتها وكيفية معالجة المرضى فيها فيكون لنا بها بعض المام بل اكتفى بالاشارة لا غير . فأحببتُ استناداً الى قرآتي ومطالعاتي الشخصيَّة ان اجول اليوم بالفكر مع القارئ اللبيب فانتقل معه من المانية الى جبال سويسرة ففرنسة ونزور بالمعيَّة المصحّات او المعاهد الصحية (Sanatoria) التي شيَّدتها يدُ الرحمة والاحسان والرفق بالمصابين

قال الدكتور اسكندر سينجلر (A. Sengler) رمتني عواصفُ ثورةٍ اهلية في احدى جبال الالب ريتيك (Alpes-Rétiques) « فكنت أقضي اوقاتي وانا اتأمل في سلامة اولئك الجبليّين ذوي الاجسام الصخريَّة والظهور الحديديَّة والاعصاب النحاسيَّة قائلاً في نفسي : لعمري ان اجساماً وظهوراً واعصاباً مثل هذه تصلح لتمثيل « شخص العافية »

وقد لاحظ الدكتور المذكور ان معدَّل حياة الانسان في تلك الجبال ٥٦ سنة وان موت الاطفال في اوّل سنة من عمرهم لا يبلغ ٧ في المئة وان السلّ لا يعرف طريق تلك الجبال الوعرة . واخيرًا ان المسلولين الذين يأوون الى تلك الصهوات العالية يرجعون بعد مدةٍ من الزمان الى بلادهم معافين

فكان لهذه الملحوظات وقعٌ عظيمٌ في النفوس لاسيما في العالم الطبي فان الالماني الذائع الصيت ماير—اهرانس (Meyer-Ahrens) بحثَ ابحاثًا مهمةً في هذا الامر ونشرها سنة ١٨٦٢

وبعد ثلاث سنين اتى مصحَّة داڤوس (Davos) الدكتور اونجر (Unger) ذاك المسلول المزمن فلقيَ في تلك الاصقاع البلسمية — كما كان يقول — قوة الشباب

ومنذ نيفٍ وثلاثين سنة تأكد الطبيبان الالمانيان برهمر (Brehmer) وتلميذه داتفيلر (Dettweiler) انه اذا أُخذ احد المسلولين في اول مرضه وعولج « براحة الجسم والفكر معاً والرياضة بالهواء والتغذي » نجا المسلول من دائه . وان لم ينجُ منه تماماً فارقهُ المرضُ على الاقل مدة ثلاث او اربع سنين

ومما شاع من ثمَّ خبر بُرْء بعض المسلولين من الموسرين بواسطة اعتزالهم عن الناس في احد صروح الصحّة (Sanatoria) اعني بيوتاً صحيةً مشيدةً على طريقةٍ خاصةٍ بها باستعمالهم علاج « الرياضة بالهواء والراحة والتغذي » حتى طرق ذهن بعض الاطباء الالمانيين فكرٌ . . . ففكروا قائلين : أما من طريقةٍ أيا تُرى لتعميم واسطة هذه المعالجة فتشيّد صروحاً صحيةً يجدُ فيها ذوو الحاجة وفعلة المعامل المسلولون الشروط الضامنة برءَهم وصحتهم ؟ . . . . — وكان من اول المحركين والمحرّضين على ابراز هذا الفكر الى حيز الوجود الاستاذ ليدن (Leyden) وبانفيتز (Pannwisz) طبيب الجيش . فتمكنا من توجيه كل العقول الى هذه المسألة واستمالة انظار ذوي الثروة والانتفاع بمعاضدات الجمعيات الخيريّة حتى توفّقا في مشروعهما الخيري فنالا من غايتهما اقصاها . كل ذلك بمساعدة لا تُحدّ من الحكومة الالمانية

لم يمض على هذه الحركة الاحسانية سوى عشر سنين بنيف حتى تعدّدت المصحّات

فترى حاضراً في المانيا ما يفوق ثلاثين مأوى صحياً ثم بوشر ايضاً ببناء غيرها (١

هذا وبما ان الهواء النقي الجيد لمن اهم شروط هذه المعالجة بنيت غالباً البيوت الصحية خارج المدن على مقربة من احراج الصنوبر او غيره من الاشجار الطيّبة النكهة الحسنة المناخ لان المناخ الحسن — كما قال سالفات (Salvat) — « يشفي هو وحده اكثر المسلولين »

وطيب المناخ كما لا يخفى من نقاوة الهواء . وهاك ايها القارئ اللبيب كيف عرّف منافع الهواء الحسن أحد رجال الجيل السابع عشر اگرافي (F. Agravi) : قال « ان الهواء النقي نافع للصحة فانه يعطي للجسد لدونتهُ وقوته وللنفس نشاطها وسرورها . به يصطلح الطبع وترتفع الافكار ويقوى العقل ويزيد بنا حبُّ الشغل . به يجري الدمُ في عروقنا بسرعة وتظهر على محيّانا زهرة الحياة . امّا صدر الفاعل فبهِ ينفرج والصوت يرنُّ رنّة عذبة شجيّة والعين لؤلؤة المحيا تضيءُ وتلمعُ والشمُّ والذوق يزيدان — اجل ان الهواء لمن اعظم نعم الباري عزّ وجلّ »

وانّما الفضل لباستور الخالد الذكر واشغاله ولاختبارات اهرنبرج (Ehrenberg) وتاندال (Tyndal) الذين اوقفونا على هذه المنافع . نعم ان الهواء لمن اول لوازم الانسان ولكن على شرط ان يكون نقياً . اما الهواء النقي ففي الجبال لان هواء الاصقاع العالية المرتفعة انقى من هواء السهول وذلك لان في السهول عموماً البلدان الكبيرة المفسودة الهواء . اما على مشارف الجبال فان الهواء يبقى دائماً نقياً ولا يفعل في الاجسام الّا مفاعيل حسنة

١) اعلم ان الدَّ اعداء الجنس البشري هو السلّ فان ضحاياه تربي هي وحدها عشر مرات على ضحايا باقي الامراض والعاهات . ففي كل سنة يموت بهذا الداء ١٥٠٫٠٠٠ نسمة في فرنسة و٦٠٫٠٠٠ في ايطالية و١٨٠٫٠٠٠ في المانيا وعلى وجه المعمور ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ اي انه يموت كل عشر ثوانٍ تقريباً مسلول واحد . — وما لا ريب فيه ان في المدن الكبيرة يزيد عدد قتلى هذا المرض الفتاك فقد عُدَّ شهداء السلّ فبلغوا لا بل فاقوا المائة الف في باريز (مدة ٧ سنين) و٣٣٣٧ في موسكو (سنة واحدة) و٣٦٠٠ في بطرسبورج (لينغراد) و٣١٧٩ في بودابست وهي مدينة تحتوي على اكثر من نصف مليون

امّا في فينا (Vienne) فقد يفتك الداء فتكاً ذريعاً ففي كل الف ميت يكون ٣٣٢ من شهداء السل

(راجع مجلة الابحاث «Etudes» السنة ٤١ العدد ٩٨ الصفحة ٤٣٦)

وعليه فان بيوت الصحة مبنية غالباً على قمم الجبال وهي كناية عن ابنية كبيرة مشيدة على نمط لطيف رائع يروق في العين . ففي قسمها المتوسط قاعة العمليات (salle de gymnastique) وحجرة الطبيب وقاعة رياضة الاجسام (laboratoire) وقاعة الاستحمام (salle d'hydrothérapie) ومن جهتيها حُجَر المرضى . ويأوي الى هذه الحجر مريضان او ثلاثة على الاكثر . وهي مفروشة على طرز زاهٍ بهي ترتاح اليه نواظر المسلولين . فينامُ فيها المريض وعند قيامه يهندم سريره ويذهب تواً الى المائدة (احياناً بعد الحمام البارد) حيث يأكل وقعةً أولى صغيرة مؤلفة من الحليب على قدر الطلب والخبز الابيض والزبدة . ثم يعود المريض الى المائدة قرب الساعة التاسعة ونصف ليأكل وقعة ثانية صغيرة ايضاً مؤلفة من الحليب والخبز . وعند الظهر يرجع المسلول الى المائدة ليأكل وقعةً ثالثة كبيرة مؤلفة من الخبز واللحم المشوي والخضر والفواكه والحليب وفرخ البيرا (causse de bière) كل هذا على قدر الطلب . ثم يعود المسلول الى المائدة عند الساعة الرابعة بعد الظهر ليأكل وقعةً رابعةً صغيرة مؤلفة من القهوة والحليب والخبز والزبدة . ويعود اخيراً للعشاء عند الساعة السابعة فيأكل وقعة خامسة كبيرة مؤلفة مما تألفت منه وقعة الظهر ويزيدون على ذلك الحساء (الشوربة)

ولربما قال قائل : « ان كثرة الاكل مُضرةٌ » فاجيبه بلسان جميع النطاسيين : « إلّا المسلولين » — اجل انها لحقيقةٌ لا تقبل الردّ فان المسلول الذي يأكل كثيراً ويهضم ما يأكل جارٍ في طريق العافية . فاذاً من الضروري الذي لا غنى عنه ان يجعل المصدور همَّهُ الوحيد فيما يأكل . وليأكل « بقوة شديدة » كما يقول المثل الايطالياني (mangiare fortissimo) ولعمري لا بد للمسلول من ان يحفظ على ظهر قلبه نصيحة احد الاطباء اذ كان يقول المصدورين « لا تفتكروا طول نهاركم الّا بماذا تأكلون »

اما قاعات الاكل فهي مبنية بنوعٍ خاصٍ بها بحيث انها تروق في اعين المرضى وتحثّ شهوتهم للطعام فترى المسلولين يأكلون بقابلية غريبة وهم يهزلون ويمزحون ويضحكون . ولا يُقسم بينهم الطعام بل يأخذ كل واحد احتياجه من كل نوعٍ ان لحماً او حليباً او خبزاً

وكل يوم عند ساعة محدودة يذهب المريض الى الميزان ليرى فائدة المعالجة بالتغذي . فيا لها من ساعة يخفق فيها القلب خفقاً عندما يسأل المسلول نفسه : « أخسرتُ ؟ . . أم كسبت ؟ . . » سؤالٌ يجولُ طول النهار في خاطر المسلول لانه يرى في زيادة ثقله او نقصانه علامةً واضحةً على رجوع العافية او فقدها . وعندما يقول له الطبيب انه زاد في الثقل عن الليلة البارحة ولو عشرين غراماً فقط ترى اسرة المسلول تبرق برقاً فتظهر على وجهه ابتسامة الفرح والاطمئنان وربما يذهب به السرور الى ان يؤدب مأدبة فاخرة في احد الاحراج المجاورة ويدعو اليها الاصحاب والاصدقاء

اما تقدُّم المريض في طريقة الصحة فلا يُحدُّ بنوعٍ باتٍّ لانه يتغيّر حسب المداولة بين انحراف المزاج وراحته وزد على ذلك حسب قِدَم المرض في الصدور او حداثته ولكنه ليس من المستغرب ان يشاهد بادئ بدء تقدماً وزيادةً في الثقل من ٢٠٠ الى ٢٥٠ غراماً في النهار نسبةً الى المعالجة وتأثيرات المناخ الاولى . ويأخذ هذا التقدم في الازدياد يوماً فيوماً الى ان يصبح في منتهى فصل شتاء بالغاً الى ٢٠ او ٢٥ كيلوغراماً . — ولعمري أليس هذا الرجوع الى الصحة ؟ . . هو الفكرُ ادّى گرانشر (Grancher) الى ان قال : « من كل الامراض المزمنة السلُّ اعظم قبولاً للشفاء ! »

وبعد كل وقعة يذهب المرضى فينظّفون اسنانهم بروائح من شأنها منع الفساد (lignides antiséptiques) ولهذه العملية حجرة مخصوصة تحوي على فرشات لتنظيف الاسنان وزجاجات منمّرة بنمرة مخصوصة بكل مريض

اما المعالجة باستنشاق الهواء وهي معالجة تتوالى بالشتاء كما في الصيف فقد ترتّبت على الطريقة الآتي بيانها :

انه يوجد في جميع المستشفيات اروقة مسمّاة اروقة الصحة . وهي عبارة عن مماشٍ طويلة مفتوحة ومعرّضة للجنوب بناؤها محكم بحيث انها محميّة من الشمس والريح والمطر . ففي هذه الاروقة يقضي المسلولون وخصوصاً عند دخولهم المستشفى معظم نهارهم وهم مضطجعون على كراسي طويلة يقرأون او يتجاذبون اطراف الحديث . وحذراً من البرد تراهم ملفوفين باغطية من الصوف يقدمها لهم المستشفى . — وقد

من الطبيب قواعد لا يجوز للمصدور ان يتعداها منها: قلّة القراءة وعدم الاشغال اليدوية مثل الشبك او التطريز او التمريد او غير ذلك مما يثني الظهر كالقوس ويقتضي من اليد حركة سريعة ومتواصلة حتى ان الحركة العنيفة مثل تدوير الزئبق في ميزان الحرارة لوضعه في درجته القانونية ممنوعة ايضاً — وكذلك تُحظر المشاحنات الخبيثة مثل التي تقتضيها مسائل الجنسيَّة او السياسة او الدين — ويُمنع الحديث الطويل والضحك المفرط الى غير ذلك

ولكن عندما تخفّ نوعاً ما وطأة الداء يعتاض المرضى عن هذه التهوية اما باستنشاق النسيم العليل البليل في روضةٍ او غيضةٍ مجاورة للمستشفى واما بالتنزُّه في زورقٍ صغير ان كان بالجوار بحيرة فيصطادون السمك بالقصبة والشصّ (الصنارة) واما ايضاً بالاجتماع في قاعةٍ كبيرة يتجاذب فيها المرضى اطراف الحديث فيهزلون ويضحكون ويصرفون الوقت بالسرور والفكاهات

وفي هذه القاعة مكتبة يطالع كُتبَها مَن اراد وآلات موسيقية كبيانو ومنجة الخ والعاب كثيرة كلعب البلياردو ولعب الدومينو والشطرنج والداما الى غير ذلك مما يروِّح عن نفوس المرضى ضناها

وعندما تدق الساعة العاشرة يذهب المسلولون الى النوم والنوافذ التي كانت مفتوحة كل النهار تبقى ايضاً مفتوحة كل الليل ما لم يأمر الطبيب بخلاف ذلك ومنفعة فتح النوافذ ليلاً لا تنحصر فقط في « مضاعفة » التهوية بل تفيد ايضاً المرضى رُقاداً هادئاً مقوياً واستيقاظاً نشيطاً بلا كسل او تعب. تهدّئ اوجاع الرأس والحمّى والرشيح الدُجوي وتُخفّف وطأة السعال

ولربما شكا البعض بادئ بدء من التهاب في غشاء العين سببهُ شدة برد للعين لكنَّ الدواء سهل جداً فيكفي المريض ان يغطّي عينيه قبل ان ينام بعصابةٍ فلا يعود يلحق بهما ادنى ضرر

واغلب البيوت الصحية في ايامنا لا تدع مجالاً للانتقاد من حيث التهوية وتنظيف حجرة المصدورين. ونقدر ان نذكر كمثالٍ من هذا القبيل صرح الدكتور دانجّر (Dannegger) في داڤوس دورف (Davos-Dorf) وصرح القديس يوسف في داڤوس پلاتز (Davos-Platz). فهكذا ترى في هذه المستشفيات مجموعة

الشروط الثلاثة لمعالجة السل اي: « التهوية الدائمة والراحة والتغذي »

ولكي يتمّ للمريض نجاح هذه المعالجة لا بدّ من الحصول على راحة الفكر مع راحة الجسم . فعلى المسلول ان لا يهتمّ بشواغل الجوار وهواجس الاشغال والعائلة التي تركها حزينة كئيبة لمصابه . ولذلك ترى بقرب كل مستشفى جمعية خيرية تهتم بعائلة المريض وتداوم على مساعدتها حتى بعد خروج المسلول من المستشفى . وزد على ذلك معامل ملحقة باغلب المستشفيات يذهب اليها من اخذ بالتعافي من المسلولين فيتعلم فيها صنعة لا تضرّ ولا تُتعب الجسم مثل عمل العلب والجفون والاغماد (gainerie) وتصفيح الاخشاب او الرخام الملوّن (marquetterie) والتصوير على اوعية صينية الخ . وهكذا يتعلم المسلول حرفة يقدر ان يعيش بها بعد خروجه دون ان يمرض صحّته ثانيةً الداء .

ولكي تضحي العيشة في هذه المستشفيات سعيدةً هنيئةً وتُعيد لقلوب المسلولين الفرح والسرور يحيون من وقت الى آخر الليالي الراقصة فيزفنون وينشدون الاناشيد ويوقعونها على آلات الطرب ذوات الاوتار الى غير ذلك

ويقوم في المسلولين مرة او مرتين كل اسبوع خطيبٌ من الاطباء عادةً يعلّم المرضى قواعد صحيةً لا بُدّ منها لاتقاء السل . فيبين لهم مخاطر البصاق في الارض وشرب المسكرات والتنسم بالفم المفتوح وخصوصاً اضرار الخلاعة والسيرة المنافية للآداب ثم يعود فيوقفهم على منافع التهوية ويحرّضهم على فتح النوافذ ليلاً ونهاراً الخ

اما النظام الجاري في هذه الصروح الصحية فهو النظام السائد في باقي المستشفيات ولكنه صارمٌ اشدّ الصرامة من جهة واحدة وهي :

عندما يدخل المسلول المستشفى يُعطَى مِبْصق جيبٍ صغير (crachoir de poche) بعد ان يرقنه الطبيب على كل مساوئ البصاق في ايّ مكانٍ غير هذا المبصق . فاذا اجترأ المسلول فخالف النظام وبصق في غير مبصقه طُرد للحال بلا مراجعة كلياً . — ولعمري انها لصرامة لا نقدر ان نفيها حقّها من المدح والثناء « فان جرثومة السل العاملة في إحداث المرض ونقله انما هي باشلُس كوخ (Koch) الذي يسبح في نفث الصدوريين بعدد آلاف الآلاف . وفي بصاق المدنف عددٌ لا يحصى من هذا الباشلس . فاذا

يبست تلك النفثات تطايرت باشلسات السلّ فسارت مع الغبار ثم ولجت الرئات . »
(راجع مقالة الدكتور حبيب افندي درعوني في « السل » المشرق ١[١٨٩٨]: ١٢١)

ولا حاجة للقول بان استعمال المكانس ومِقَشّات الريش (plumeaux) ممنوع منعاً قطعياً في البيوت الصحية، لان هذه الآلات — كما كان يقول احد الاطباء — على الرغم من منظرهن اللطيف ينشكن في الصدور الف مرة اكثر من مدافع الاعداء . » ولذلك يعتاضون عنها بخرق مبلولة يمسحون بها ما يريدون مسحه

مضى على انشاء الصروح الصحية في المانيا ثلثون سنة بنيف والاحصاءات الاخيرة تنبئنا بان المسلولين بعد مضي ثلاثة او اربعة اشهر في المستشفى يخرجون منه (لاسيما اذا كانوا دخلوه في اول مرضهم) بمعدل ٩ في المائة حائزين على تمام الصحة و٦٥ في المائة صحتهم قد تحسنت بهذا المقدار حتى انهم يقدرون على مزاولة اشغالهم مدة سنتين وثلاث واربع سنين

ويدعون في المانيا هذا التحسين « تحسيناً اقتصادياً » لان الصحة التي تعود الى الفعلة المسلولين تعود على البلاد بكثرة الايادي العاملة ومن ثمّ بكثرة الغنى والاموال

المعاهد الصحيّة في سويسرة

كان مجرّد كلامي حتى الآن عن مستشفيات المانية لا غير . بيد انه يوجد ايضاً في البلاد الاوروبية غير المانية كثيرٌ من هذه الصروح الصحية . ففي قرية داڤوس (Davos) مثلاً من قرى سويسرة تجد مستشفياتٍ عديدةً يأوي اليها المدنفون خيماً جون

قد كان يُخشى بادي بدء على المصدورين من الهواء والبرد القارس . اما اليوم فقد تقرّر كما مرّ بك ان التهوية المتواصلة في اصقاع هواؤها نقي لمن الشروط التي لا بدّ منها في معالجة السل . ولذلك ترى المسلولين يأوون صيفاً وشتاء الى صروح داڤوس المار ذكرها . وعلو هذه القرية عن سطح البحر يوازي ١٥٥٨ متراً

اما هواؤها فان ابحاث فرنسيس هندرسن(F. Handersen) الدقيقة والمتوالية قد اثبتت نقاوته العديمة المثال. ولكي نتحقق ذلك فلنعلمن ان الامراض الوبقة نادرة جدًا في تلك الاصقاع. نعم لا ينكر انه يوجد بعض زوايا لا يستنشق الانسان هواءها بلا خوفٍ على رئتيه... ولكن هذه الزوايا قليلة. — اما الذرّات والدقائق المنتشرة في الهواء فهي في داڤوس بمعدل ٥ او ٦ مِلغرامات في المتر المكعب (وهي في باريس بمعدّل ٢٣ ملغراماً وفي خركوف (Kharkoff بمعدل ٢٣٠)

وعليه فان المسلولين يعيشون في صقعٍ نقي نظيف يسمح لهم ان يقاتلوا المرض بنجاح كبير لان الهواء النقي كما هو معلوم لمن احسن الاشياء المنظّفة المطهرة

فنظرًا الى كل هذه الشروط الموافقة للمصدورين وزد عليها جمال تلك الاصقاع الطبيعي قد زادت قرية داڤوس ازديادًا عظيماً ونمت نموًا غريباً فان القرية قد اصبحت حاليًا بلدةً انيقةً بهيجةً برزت من قلب الثلوج النقي بسرعةٍ عجيبة

واذا ساقتك يوماً الاقدار الى تلك الديار (قصد التنزه لا غير...) رأيت صروحاً شائقة زاهية وبيوتاً صحيةً عامرة من داڤوس — دورف الى داڤوس — بلاتز وكلها مدهونة بالالوان الرائقة الزاهرة ومشرفة على كنيسةٍ كاثوليكية حديثة العهد

امَّا سكة حديد راتيكون(Rhæticon) فقد نقلت الى البلدة الصحية الجديدة الحاضرة كلّ اسباب الرفاهة وسعة العيش. فانك ترى هناك مخازن كبيرة خاصة بكل اللوازم يأتيها الانسان فيجد فيها كل ما يحتاج اليه من ملبوس ومأكول ومشروب لا بل كل ما لا حاجة ماسّة اليه كالزهور الاصطناعية والعصافير المغنية الصادحة باصواتها الشجية وزد على ذلك معرضاً من العاديّات والآثار الجميلة. فعلى ما ترى لا ينقص شيءٌ في هذه البلدة وذلك لانه من اللازم الضروري ان يجد فيها كل مريض ما يوافق ذوقه واطواره فان داڤوس حالياً اشبه بعالمٍ صغيرٍ اجتمعت فيه كل الشعوب ويناغي في ضواحيه كل انسانٍ بلسانه

لقد لُقبت داڤوس «بجنّة المصدورين.» اجل جنةٌ ولكن سكانها لم يلاقوا فيها الآن الحياة الخالدة اذ ليس على الارض حياة خالدة... وعلى كل حال لا

يُنكَرُ ان موقعها الطبي من احسن المواقع واجملها وانفعها للمصدورين

ويوجد ايضاً على مقربةٍ من لوزان (Lausanne) في سويسرة مستشفى ايزن (Leysin) وموقعه في جوار احراجٍ كثيفة من الاشجار الراتينجية يلاقي فيه المصدورون اسباب الراحة والصحة الموجودة في مستشفيات المانية. ولا تظنَّ ان كل المستشفيات في المانية عبارةٌ عن بنايات كبيرة واسعة. فقد طالما عمد الالمانيون في سبيل الاقتصاد الى بيوت صغيرةٍ من خشب يبنونها في وسط الغابات والاحراج فيأوي اليها المسلولون من الشعب

المعاهد الصحيَّة في فرنسة

وقد كثرت في فرنسة المستشفيات المخصوصة بالاولاد المصدورين حتى انك لا تجد الّا هناك ما تجده من الاعمال الخيرية المشابهة « لمشروعات المستشفيات البحرية » (Œuvre des Hôpitaux marins) منها «مشروعة الاولاد المسلولين» (Œuvre des Enfants Tuberculeux) مع مستشفيات اورمسون (Ormesson) وڤيلياي (Villiers) ومستعمرات صحية مثال نوازي — له — كران (Noisy-le-Grand) وترامیلي (Trémilly)

وتجد ايضاً في كانّ (Cannes) مستشفى مخصوصاً بالفتيات المصدورات. وفي هوتڤيل (Hauteville) شاد الدكتور دومارست (Dumarest) على مقربةٍ من حرج راتينج صرحاً يعلو عن سطح البحر ٩٥٠ متراً وقد خصَّصه بالفعلة المصدورين من مدينة ليون (Lyon)

اما العاصمة باريس فلها ايضاً مستشفى من هذا الجنس في انجيكور (Angicourt) يسع ٢٠٠ مريض

وبما انَّ الشيء بالشيء يُذكر لا بدَّ من ذكر مستشفى يستحق كل مديح وثناء الا وهو الصرح المشيَّد في كانّة (Cannet-Alpes-Maritimes) بهمة ونشاط الدكتور ڤودريمر (Vaudremer) فانهُ أقامهُ من حيث البناية وطريقة المعالجة على نسق الصروح الالمانية الّا ربك وصفناها. لكن المصدورين يتململون فيها (وذلك على قدر ما تسمح

لهم به صحتهم) طرق الحراسة والاعتناء بالبواكير من الاثمار وتطعيم الاشجار وتغيير الوان الازهار وزرع الفسول الى غير ذلك . ولا يُداوى في هذا المستشفى سوى المسلول الفرنسي الجنس لا غير . اما غلّات هذه الجنان من اثمارٍ وازهارٍ فتباع في الجوار ولكل مسلول عند خروجه من المستشفى ثلثا المرابح يُعطاها كرأس مال صغير

هذا ايها القارئ اللبيب بالاختصار ما فعله الغربيون في سبيل الخير والاحسان رفقاً بالمصدورين من ابناء جلدتهم وابناء وطنهم . . .

فنحن الشرقيين يا من طالما احتذينا باهل الغرب (ولكن يا للاسف ! بما كان لنا عنه غنى) ما لنا لا ننهج اليوم الطريق التي نهجوها في سبيل معالجة مسلوليهم فنبني لهؤلاء المنكودي الحظ من ابناء جنسنا وابناء وطننا صرحاً (ولا اقول صروحاً) يجد فيه المصدور الصحة والعافية ؟

لعمري ليست ذات اليد التي تنقصنا فان جداول الذهب التي تجري كل ليلة على طاولات المقامرة تكفي لبناء اكثر من صرحٍ صحيٍّ على احدى روابي لبنان التي قلّ وجود مثلها في البلاد الغربية من حيث الاعتدال والمنطقة والارتفاع والنضارة والمناظر . فالطبيعة قد جادت فيها بكل ما يروق الصحة ولم يبقَ لتتمة العمل سوى ان يجود اصحاب الخير على ابناء جنسهم

وهنا فليسمح لي حضرة الاب الفاضل هنري لامنس ان انقل جملةً من احدى مقالاته « اللبنانية » الواردة في المشرق (١ : ٧٣) فانه اذ كان يتكلم عن « جبال الالب ولبنان » قد قال ما يلي نقله :

« . . . ان اهل سويسرة قد شيدوا في مراكز مختلفة من جبالهم لاسيما في داڤوس منازل للمرضى ليستنشق بها اهل العاهات ريح الجبال . فجاء الاختبار محققاً لآمالهم وقد شفي عددٌ غفير من المرضى بسكناهم في هذه المستشفيات لا يتعالجون بدواء سوى تنسم الريح الطيّبة . فترى ماذا يمنعنا ان نقيم مثال هذه المقامات لمرضى بلادنا فنغنيهم عن تجشم الاسفار الى الاقطار البعيدة لمعالجة ادوائهم بينما يجدون في جوارهم ما هم اليه في حاجة ماسّة ؟ . . وماذا يمنع اصحاب الامر عن مباشرة مثال هذه المشروعات او تنشيط بعض الجمعيات على مباشرتها ؟ . . او لِمَ لا تنظم لجنةٌ

من العلماء لفحص مياه لبنان وتعيين خواصّها الشافية — ولا يخلو لبنان من مياه معدنية — لعلها تشبه بمنافعها مياه ڤيشي (Wichy) وماريَنباد (Marienbad) ؟.»

مرَّ بنا ان اول المحركين والمحرضين على بناء الصروح الصحية في المانية انما كان الاستاذ ليدن (Leyden) مع بانڤيتز (Pannwitz) طبيب الجيش...

أفلا نسمع ابدًا يا هل ترى في شرقنا العزيز صدى صوت ليدن او بانڤيتز يردده نخبة أُناسٍ من محبي الخير والاحسان ؟ فيوجهوا انظار ذوي الثروة وارباب البرّ ويستميلوا قلوبهم الى هذا المشروع الخيري فيكلل الربّ الشفوق بعباده مساعيهم بالنجاح ولا شك بذلك لان محبي الخير وفاعليه لا يُعَدُّون في بلادنا الشرقية !

فهيَّا بني الشرق هيا نغيث المصابين بهذا الداء العقيم. هيا نردّ اليهم الصحة والعافية. هيا نخلّص شابًا او شابةً من مخالب المنون فربما هذا الشاب العليل او هذه الشابة العليلة من معارفنا او اصدقائنا او اقاربنا...

هيَّا بني الشرق ان الخيرَ محمودُ والمرء للخير والاحسان موجودُ

﴿ حاشية ﴾ كُتبت هذه المقالة سابقًا قبل انشاء راهبات المحبّة الفاضلات دارهم الصحيَّة للمسلولين في بحنّس وقبل صحّ عين لويس الذي وصفهُ جناب الدكتور توفيق ساهب في عدد تموز (ص ٥٢٦-٥٣٦) بل سبق انشاء الملجأ الصحّي التدرُّني. على انَّ هذه المساعي الطيّبة مع فوائدها الجمّة لا تفي حتى الآن تمامًا بالغاية المنشودة فعسى اهل البرّ وارباب الثروة تستفزّهم دعوة كاتبنا الفاضل لسدّ هذا الخلل فيصبح لبنان ليس مصيفًا فقط للمصطافين بل مستشفى شافيًا لمرضى سوريَّة ومصر والعراق ان شاء الله